# حقيقة الصبر

جعل الله عز وجل الحياة ميدان ابتلاء، تتعاقب فيها الأفراح والأحزان، وتتناوب على القلب فيها لحظات القوة والانكسار.

وفي خضمّ هذه التقلبات، أرشدنا ربنا جل جلاله إلى الصبر وجعله مقامًا عظيمًا، وسرًّا من أسرار الثبات، وميزانًا تُعرف به معادن النفوس. فكم من إنسانٍ هزّته المصائب، فزادته قربًا، وكم من آخر أضعفته، فزادته بُعدًا!

وإذا كان العبدُ مأمورا أن يتلقّى المصائب بالصبر، فما هي حقيقته؟

**الصبر في اللغة** نقيضُ الجزع، وأصل الصبر الحبسُ والمنع، وقيل: مأخوذ من الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمّها عن الهلع والجزع، والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنع والشدة والضم.

وأما **الصبر في الشرع**، -كما أمرنا الله عز وجل- فهو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

**وحتى يفوز العبد بهذه المرتبة العظيمة، وينال معية الله، لا بدّ أن يعرف مراتب الصبر، وهي ثلاث:**

**المرتبة الأولى: الصبر بالله:**

وهو الاستعانة بالله جلّ جلاله، بأن يرى العبد أنه لا صبر له إلا بالله، وأن الله هو المصبِّر، وأن صبره إنما هو بربه لا بنفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي: إن لم يُصبِّرك الله لم تصبر.

**المرتبة الثانية: الصبر لله:**

بأن يكون باعث العبد على الصبر عند وقوع البلاء محبةُ الله تعالى، وإرادةُ وجهه، والتقرّب إليه، فيصبر صبرًا خالصًا صادقًا لله جل جلاله، لا يقصد به إظهار قوة، ولا طلب حمد الخلق، أو شيئًا من الأعراض الدنيوية التي تترفّع عنها النفوس المؤمنة العارفة بالله.

وهذه المرتبة أعلى من الصبر بالله؛ لأنها متعلّقة بإلهية الله عزّ وجل، بخلاف الصبر به فإنه متعلّق بربوبيته. وما تعلّق بإلهيته أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته سبحانه.

**المرتبة الثالثة: الصبر مع الله:**

وهي أشدّ مراتب الصبر وأعلاها، وهي مرتبة الصدّيقين؛ وفيها تدور نفس العبد مع مراد الله عز وجل وأحكامه، فيصبر العبد نفسه على موافقتها، ويسير معها حيث سارت، ويقيم حيث أقامته، متوجّهًا بها إلى حيث توجّهت، جاعلًا نفسه وفقًا لأوامر الله ومحابّه.

وإذا نزلت بالعبد النازلة، وحلّ به قدر الله، قد يتساءل وهو في أعلى مراحل ضعفه: **لماذا أصبر؟**

ولو علم أن هذا الكون كلّه لله تبارك وتعالى، بما فيه من أولاد وأحباب وأهل ومال، وأن كل ما بين أيدينا إنما هو مستعارٌ منه سبحانه، لهان عليه الأمر؛ فالله سبحانه له ما أخذ، ولم يأخذ شيئًا من ملكنا، بل أخذ ملكه هو، فهو

الذي أعطى وهو الذي يستردّ. يهب العبد النعمة زمانًا يطول أو يقصر، ثم يستردّها بحكمته؛ فله ما أخذ، وله ما أعطى، جلّ في علاه.

فلماذا لا يصبر العبد؟ وماذا يجني من الجزع والسخط إلا الألم، وتعاظم الهموم، وما الذي يجنيه إلا الدخول في دوامة الشقاء والعناء، ولذا فإن معرفة العبد بهذه الحقيقة يجلي عن عينيه الغشاوة، ويحيل حالة الجزع التي قد يقع فيها جراء المصاب إلى حال آخر محمود محبوب عند الله عز وجل.

## كيف أصبر؟

ليوطن العبد نفسه على الصبر؛ فلا بدّ له في دار الأكدار من زادٍ يطمئن له، ويتنعم به، ويغتدي به، وهو اليقين، وعلى قدر كمال يقين الإنسان على قدر ما يكون عنده من الثبات، ورسوخ القدم أمام عواصف المصائب، والمحن، والبلايا. فاليقين بالله وبما عند الله من الأجر والمثوبة يهوّن على العبد مصابه، ويخفف بلاءه، ويعمّق إيمانه بربه ويزيده حسن ظنّ به جل وعلا.

ومن وسائل تحقيق اليقين: تدبّر آيات الله، والإقبال عليه بالدعاء؛ كما جاء في السنن عن ابن عمرَ قَالَ: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا) فإذا امتلأ القلب يقينًا بما عند الله من الخير وراء كل محنة، ومن الحكمة وراء كل بليّة، تجرّع مرارة الصبر على المصاب بروح أخرى، والصبر الحقّ إنما يكون عند أول الأمر في المصيبة، لا بعد سكونها وركودها، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: أن النّبي ﷺ مرَّ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: (اتَّقي اللهَ واصبِري)، قالت: إليكَ عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيلَ لها: إنه النبيُّ ﷺ فأتت بابَه ﷺ فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لَم أعرِفك، فقال: (إنَّما الصَّبرُ عِندَ الصَّدمةِ الأولى). وقولُه: (الصبر عند الصدمة الأولى)، مثل قوله: (ليس الشديد بالصرعة، الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) فإن مفاجأة المصيبة بغتة، لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها، وضعفت قوّتها، فهان عليه استدامة الصبر.

فإذا أراد المرء أن يحوز رضا الله بالصبر على المصاب فليتقين أنه سبحانه لا يكلفه من البلاء ما لا يطيق، وليثق بحكمة الله ورحمته، وليدعو، وليكثر من ذكر الله حتى تتغشاه السكينة، وتحوطه رحمة الله.

وقد يخطئ البعض في فهم الصبر على وجهه الصحيح، فتختلط عليه المعاني، فيُدخل في الصبر ما ليس منه، ومن ذلك:

### ١/ الحزن ودمع العين:

قال تعالى عن يعقوب -عليه السلام-: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قال قتادة رحمه الله: كظيم من الحزن، فلم يقل إلا خيرًا، وقد بكى النبي ﷺ شفقًا على فراق الأحبة وقال: (إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

**٢/ الشكوى إلى الله تعالى لرفع البلاء:**

قال تعالى مخبرًا عن يعقوب -عليه السلام-: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ فالمنافي للصبر شكوى الله للخلق، لا الشكوى إليه. فالله يبتلي عبدَه ليسمع تضرُّعه ودعاءه والشكوى إليه، ولا يحبُّ التجلّدَ عليه. وأحَبُّ ما إليه انكسارُ قلبِ عبده بين يديه، وتذلُّله له، وإظهارُ ضعفِه وفاقتِه وعجزِه وقلةِ صبره. فاحذر كلَّ الحذر من إظهار التجلُّدِ عليه، وعليك بالتضرُّعِ والتمسكن؛ فرحمتُه أقرب إلى هذا القلب من اليد للفم.

**٣/ إخبار الناس بالحال للحاجة:**

كإخبار المريض الطبيب، أو المظلوم من يعينه، فهذا لا ينافي الصبر إذا كان بقصد الاستعانة لا التسخّط.

وطوبى ثم طوبى لعبدٍ إذا ابتُلي صبر، وإذا أُعطي شكر، وإذا أذنب استغفر؛ أولئك هم السائرون إلى الله بقلوبٍ حيّة، ونفوسٍ مطمئنة، ووجوه نضرة..

اللهم اجعلنا من الصابرين، واملأ قلوبنا يقينًا بك، ورضًا عنك، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.


**من برامج منصة يسر التعليمية**

EXPLORE IT ON AppGallery | Download on the App Store | Available on the Google Play

:yusurplatform www.yusurplatform.net